

288830 - حديث (مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلَّا ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا) ما هو معناه ودرجته؟

السؤال

قد قرأت أثر عن الشعبي وروي مرفوعاً أنه : **ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها** ، فما مدى صحة هذا الكلام ؟ وما معناه؟ وهل المقصود أن كل أمة نبي تفرقت وكانت الفرقة الناجية قلة كما في حديث افتراق اليهود والنصارى ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أما الحديث الذي أورده السائل الكريم فهو حديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والحديث أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (7754) ، وأبو نعيم في "ذكر من اسمه شعبة" (29) ، من طريق أبي بكر بن عياش ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلَّا ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا** .

وإسناده ضعيف ، فيه "موسى بن عبيدة" ، وهو متفق على ضعفه ، حتى قال أحمد : " لا تحل الرواية عنه " ، وخاصة في حديثه عن عبد الله بن دينار .

قال أبو حاتم : "موسى بن عبيدة لا يشتغل به ، وذلك أنه يروي عن عبد الله بن دينار شيئاً لا يرويه الناس " ، وقال ابن معين : "موسى بن عبيدة ضعيف ، وإنما ضعف حديث موسى بن عبيدة لأنه روى عن عبد الله بن دينار أحاديث مناكير " . انتهى من "الجرح والتعديل" (8/152). وقال ابن حجر في "التقريب" (6989) : "ضعيف ، ولا سيما في عبد الله بن دينار" انتهى .

والحديث ضعفه الهيتمي في "مجمع الزوائد" (2/459) ، والشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (4990) .

وأما أثر الشعبي فأخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (4/313) من طريق جرير ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ: (مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلَّا ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا) .

وإسناده ضعيف ، فيه عطاء بن السائب ، وهو ثقة إلا أنه اختلط ، وجرير ممن روى عنه بعد الاختلاط ، انظر "المختلطين" للعلاني (ص84) .

إلا أن بعض أهل العلم جعل ذلك عاماً في الأمم دون الأمة المحمدية ، فإن من خصائصها ألا يظهر أهل الباطل فيها على أهل

الحق ، واستدلوا على ذلك بحديث ضعيف .

وهو ما أخرجه أبو داود في "سننه" (4253) ، والطبراني في "المعجم الكبير" (3/292) ، من طريق إسماعيل بن عياش ، عن
ضمضم ، عن شريح عن أبي مالك - يعني الأشعري - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : **إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكُمْ مِنْ
ثَلَاثِ خِلَالٍ: أَنْ لَا يَدْعُوَ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلِكُوا جميعاً ، وَأَنْ لَا يَظْهَرَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ ، وَأَنْ لَا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ .**

وإسناده ضعيف ، فيه انقطاع بين شريح وأبي مالك الأشعري ، قال أبو حاتم كما في "المراسيل" لابن أبي حاتم (327) : "شريح
بْنُ عُبَيْدٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ : مُرْسَلٌ" . انتهى

ولذا ضعفه ابن كثير في "تحفة الطالب" (ص120) فقال : "في إسناده هذا الحديث نظر" .

وقال ابن حجر في "التلخيص الحبير" (3/295) : "في إسناده انقطاع" .

وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (1532) .

وله شاهد من حديث أبي هريرة ، وإسناده لا يصح أيضا .

أخرجه الداني في "السنن الواردة في الفتن" (3/746) ، وإسحاق بن راهويه في "مسنده" (421) ، والحاثر بن أبي أسامة في
"مسنده" كما في "إتحاف الخيرة المهرة" (259) ، من طريق إسماعيل بن عياش .

وأخرجه الخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" (419) ، من طريق داود بن أبي هند .

كلاهما (إسماعيل بن عياش ، وداود بن هند) عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلَاثَةٍ : أَنْ تَسْتَجْمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ كُلُّكُمْ ، وَأَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ ، وَأَنْ
ادْعُوا عَلَيْكُمْ بِدَعْوَةٍ فَتَهْلِكُوا ، وَأَبْدَلَهُ بِهَذَا : الدَّابَّةُ ، وَالْدَّجَالُ ، وَالْدُّخَانُ .**

وعلمته : يحيى بن عبيد الله التميمي ، ترجم له ابن عبد الهادي في "بحر الدم" (1158) ، وقال: "قال أحمد: منكر الحديث ، ليس
بثقة ، وأبوه لا يعرف" . انتهى

ومع كون هذه الأحاديث لم تصح ، إلا أنه قد جاء في الأحاديث الصحيحة أنه لا تزال هذه الأمة ظاهرة على الحق إلى يوم
القيامة .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري في "صحيحه" (3116) ، ومسلم في "صحيحه" (1037) ، من حديث مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه ، قال:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ**

ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ .

فلا يمكن أن يظهر أهل الباطل في هذه الأمة على أهل الحق بعامته، وقد عدّ بعض أهل العلم ذلك من خصائص الأمة .

ومعنى الظهور هنا الغلبة ، بحيث يظل الحق غالبا ، والباطل مغلوبا ، فلا يظهر أهل الكفر على أهل الإسلام فيمحقونه بالكلية عن ظهر الأرض ، فهذا منتف في هذه الأمة .

قال البيضاوي في "تحفة الأبرار" (3/460) : " والمراد بـ (الظهور): الظفر المؤدي إلى قمع الحق وإبطاله بالكلية .

ولعله أراد بذلك: أن أهل الكفر والإيمان إذا تحاربوا على الدين ، ولم يكن لهم غرض سواه ، لم يكن للكفار على المؤمنين ظفر . " انتهى

وكذلك لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق مطلقا ، فيصير الحق مهجورا غير معمول به في جميع الأرض ، فهذا أيضا منتف .

قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (ص69) : " ومع هذا ؛ فلا بد في الأمة من عالم يوافق الحق ، فيكون هو العالم بهذا الحكم ، وغيره يكون الأمر مشتبهها عليه ولا يكون عالما بهذا ، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ، ولا يظهر أهل باطلها على أهل حقها ، فلا يكون الحق مهجورا غير معمول به في جميع الأمصار والأعصار " . انتهى

وهذا في هذه الأمة ، بخلاف ما سبق من الأمم ، فإنها كانت تستباح فيظهر عليها عدوها حتى يهلكها جميعا ، أو يسلبها دينها كما حدث مع بني إسرائيل .

قال المظهري في "المفاتيح شرح المصابيح" (6/100) : " أن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق " ، قيل: ألا يغلب الكفار على المسلمين ، بصرفهم عما هو حق ؛ يعني: عن الإسلام إلى الكفر ، كما فعل الكفار بقوم موسى عليه السلام في غيبته بأن حملوهم على عبادة العجل " . انتهى

وقال شيخ الإسلام في "الجواب الصحيح" (6/121) : " وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة " .

وهذا أخبر به حين كانت أمة أقل الأمم فانتشرت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان كما أخبر به ، فإن هذه الأمة – ولله الحمد والمنّة – لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف ، لم يصبها ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل وغيرهم ، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء ، بل إن غلبت طائفة في قطر من الأرض ، كانت في القطر الآخر أمة ظاهرة منصورّة ، ولم يسلط على مجموعها عدوا من غيرهم ، ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن " . انتهى

ثم إن هذا الظهور إلى قرب قيام الساعة ، حتى يبعث الله ريحا طيبة فتأخذ أرواح المؤمنين ، ثم لا يبقى في الأرض إلا شرار

الخلق ، وعليهم تقوم الساعة

ففي "صحيح مسلم" (1924) ، قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيُّ : " كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ ، أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ " .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَجَلٌ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا الْحَرِيرَ ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِنْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ " .

ولا شك أن اختلاف الأمم السابقة كان سببا لاستباحة العدو دينهم وأرضهم

روى ابن أبي شيبه في "مصنفه" (30555) ، أن معاوية رضي الله عنه قال : " مَا تَفَرَّقَتْ أُمَّةٌ قَطُّ إِلَّا أَظْهَرَ اللَّهُ أَهْلَ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ إِلَّا هَذِهِ الْأُمَّةَ " .

فالاختلاف واقع في هذه الأمة كما وقع في الأمم السابقة ، إلا أنه لا يؤدي في هذه الأمة إلى ظهور أهل الباطل على أهل الحق ظهورا كلياً مطلقاً كما قدمنا .

والله أعلم .